
شعر
جميل حسين الساعدى
فواتح سفر الغربة

فواتح سِفْر الغربة

شعر

جميل حسين الساعدي



فواتح سفر الغربة

شعر

جميل حسين الساعدي

الكتـــــاب: فواتح سفر الغربة

المــؤلــف: جميل حسين الساعدي

تاريخ النشر: ٢٠١١م

الطبـعــة: الأولى

رقم الإيداع: ٢٣٦٧٥ / ٢٠١٠م

الترقيم الدولي: 978 - 977 - 463 - 089 - 7

الناشـــر:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والمطابع:

١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

تليفون: ٠٠٢٠٢٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس: ٠٠٢٠٢٢٧٩٥٤٣٢٤

التوزيـــع:

٣ شارع كامل صدقى الفجالة - القاهرة

تليفون: ٠٠٢٠٢٢٥٩١٧٩٥٩

www.dargharecb.com

ترنيمة الحرية

برلين أيلول ١٩٨٠

حمــراءُ[١] ما امــتدّت الآبادُ تتّـقد

لا الحقدُ يوقفُ مسراها ولا الصفَدُ

حمــراءُ لولا سَنَاها لـمْ يطِبْ عـمُرٌ

ولـمْ يَعِشْ في الدنى رأيٌ ومُـعْتَـقَدُ

هي اللبابُ الذي تغـنى النفوس بِهِ

ومـا عـداها فـذاكَ القـشـرُ والزَبَدُ

تفنى نفــوسٌ لكي تهنا بهـــا أُخَـرٌ

ويفـتـدي سـاعــةً مـن أجْلهـا أبَدُ

---

(١) حمراء: المقصود هنا شعلة النار المتوقّدة، وقد رُمِزَ بها للحرية.

إنْ أَقْبَلَتْ عـادتِ الدنيا مشعـشعةً

أو أدبرتْ فـالليــالي حُلّكٌ رُبُدُ(١)

كلُ الخــلائقِ تهــواها وتنشـــدها

فكلُّ صوتٍ لهُ مِنْ وَحْيـها رفَدُ(٢)

ما حلَّقَ الطيرُ في الآفاقِ عن عبثٍ

لكن ليَصـبحَ حُـرًا حيـثـمـا يَردُ

وما استكنّت إلى الأعـمَاقِ زاحفةٌ

إلا لتــحيــا ولا عينٌ ولا رَصَــدُ

كم يبتني من مـنيع السَدِّ معـتصبٌ

تاجًا وكم من صنوف الظُلْم يعتمدُ

حتّى إذا ما استجاش السيْلُ واندفعت

أمـواجـهُ كُل مَنْحىً زالتِ السُـدُدُ

---

(١) رُبُدٌ: عابسة.

(٢) الرَفْد: العطاء.

وعادَ خزيانَ مهزوزَ الخطى فرقًا
ذاك المليكُ فما آواهُ مُتَّسدُ
وكانَ من قبلُ كالطاووس مُنتفخًا
تكادُ تقفزُ منْ زهوٍ بهِ البُرُدُ

* * *

يا سائلي عنْ جراحي وهي بيّنةٌ
خلِّ السؤالَ سيغنيكَ الذي تَجِدُ
أنا قوافلُ آلامٍ تطاردها
هُوجُ الرياحِ فلا أهلٌ ولا بَلَدُ
تكسّرتْ سفنُ الموتى وها أنذا
يصارعُ الموجَ مجذافي وأتّئدُ
ذررتُ في أعيني ملحًا محاذرةً
أنْ يسلكَ النومُ بي دَرْبَ الألى هَجَدوا

وعـــفتُ لِيْنَ وســـاداتٍ مكـابرةً

فالصخْرُ والريحُ والرمضاءُ لي وسُدُ

عذرًا أخا الجرْحِ إنْ جاءتْ مسعّرةً

هذي الحروفُ فـإني نازفٌ حَرِدُ[1]

هممْتُ بالجـرْحِ لم أفطنْ لعاصـبهِ

فـــرحتُ أحـــضنُ آلامي وأنفـــردُ

وخـيّـبَ الظنَّ أحـزابٌ وأنظـمـةٌ

تدعـو لشيءٍ وتأتي عكْسَ ما تَعِـدُ

آيُ التـــحـــرّر لـم تبْـرحْ تـرتّلهـــا

لكن تـطاردُ أحـــرارًا وتضـطهـــدُ

لمْ تدْرِ إنَّ دمـــاءً أُجـريـتْ شَطَطًا

من أهلنا هيَ في الأرزاءِ مُـعْـتَمَـدُ

---

(1) حرد: غضبان.

بهـــا نردُّ عـن الأوطانِ عـــادية
عند الملمـاتِ فهْيَ الحـصْنُ والزَرَدُ
وأيُّ مـعنىً لتـحـريرٍ إذا حُـبِسَتْ
أنفاسُ شـعْبٍ عليهِ القَصْدُ ينعـقدُ
وكــيفَ يَـدْفعُ عَنْ أوطانـهِ خَطَراً
مُكبّلٌ فـي قـيـودِ الذُلّ مُضْـطَهَـدُ
شرُّ الخصـومِ حكوماتٌ تجورُ على
شـعوبهـا فـهْيَ خـصـمٌ كُلهُ لَدَدُ[1]
تزهو المشـانقُ بالأحـرارِ شـامخـةً
وفي السجـونِ ضحايا ما لهـا عَدَدُ
ونحنُ بـينَ طواغـيتٍ مـشــرَدَةٌ
جمـوعنا في يدِ الأقـدارِ تُختَـضَدُ

---

(١) اللدد: شدة الخصومة.

كـأننا لمْ نكُـنْ عُـربًا مـعـرفـةً

أنسـابُنا .. جدّنا قـحطانُ أو أُدَدُ[1]

* * *

وتائهٍ في مطـاوي اليـأسِ تُفـزعـهُ

رؤى الظلامِ شـتـيتٌ رأيهُ قَـدَدُ[2]

نأى بخــفــاقِــهِ عَنْ كُلِّ أمـنيـةٍ

خوفٌ بهِ راحَ في الإبحارِ يَعْـتَضدُ

في حين أمّتْ شعاعَ النجْمِ صاريةٌ

لَهَا من الضَـوْءِ هادٍ نهْجُـهُ جَدَدُ[3]

ما أعْظَمَ النفسَ إذْ تنضو مـخاوفها

وترتدي من بُرودٍ حَـشْـوها الجَلَدُ

(١) أُدد: أبو قبيلة من اليمن وهو أُدد ابن زيد ابن كهلان بن سبأ بن حمير.

(٢) قَدَد: الشتات المتناثر.

(٣) جَدَد: الأرض المستوية.

شتّـــان بَيْنَ شتـيتٍ أمْــرُهُ فُـرُطٌ

وبيْنَ ثـبْتٍ على الأرزاءِ يـتّـحــدُ

إنَّ اجتـماع قـوى الأرواحِ يُبْلغـها

مــا ليْسَ يَبْلُغُــهُ في وَهْمِــهِ خَلَدُ

ومـا يُـزيحُ طوابيـر الظـلامِ سـوى

مـوج الضيـاءِ إذا ما راحَ يَحْـتشـدُ

حـتى إذا أطْبَـقَتْ ظلمـاءُ حـالكةٌ

وَظُنَّ أنَّ مـجيء الصُـبْحِ مُـفْتَـقَـدُ

تهـدّلتْ لُبداتُ اللـيل فانكشـفت

عنْ سافرٍ صدقَ الأحرار ما وعدوا

مِنْ بعـدمـا عَـسـرتْ دَهْرًا ولادتهُ

وضــاقَ طُلاّبُهُ ذرْعًــا بما نَشَــدوا

ورنَّ في الأفُـقِ المـــتـــدِّ يَمْـلَؤُهُ

بالقــاصـفــاتِ نداءٌ صــابرٌ جَلِدُ

يَشُدُّ مِنْ أزْرِ ذي سَعْيٍ فيمنحه
عَزْماً ويهزأُ مِنْ أفْهامِ مَنْ قَعدوا
ويستطيرُ أناشيدًا ترددها الـ
ـدنيا ويغْرفُ من أنغامِها الأبَدُ
أكْبرْتُ من راحَ بالإيمانِ مُدَّرعاً
فهو القويُّ ولَيْسَ الجلْمَدُ الصَلِدُ
تهوي الحياة إلى الأدنى فترفعها
أرواحُ قومٍ سوى العلياء ما قصَدوا
قومٌ إذا أجدَبتْ أرضٌ يكونُ لها
مّما يسيلونَ من أرواحِهم مَدَدُ
كِفاحهمْ لبني الإنسان قاطبةً
لا اللونُ يُبْعدهمْ عنهم ولا البَلَدُ
المرءُ بالمرءِ موصولٌ وإن فصَلتْ
مذاهبٌ في دعاويها الورى قِدَدُ

وجنةٍ لمْ يَطأْ أكْنافَهــا بَشَــرٌ

لا يستطيبُ بهــا أيّامَــهُ أحَــدُ

* * *

ربأتُ بالنفسِ أنْ تحيا على عَرَضٍ

وأنْ تمجّدَ أصنامــاً ومَنْ عَبَـدوا

الشعرُ إن لـمْ يَعِشْ للناسِ مُنْشِدُهُ

فليسَ في قولِهِ فحوى ولا رَشَدُ

الشعْرُ عندي صلاةٌ حينَ أبدأها

تُسْتَنْقَذُ النفْسُ مِنْ إغْفاءِ مَنْ همدوا

يُسْتَنْزَلُ الشعْرُ مِنْ عليائِهِ دُفَقًا

من الضياءِ بِهِ الأرواحُ تبتردُ

وليسَ مَحْضَ صياغاتٍ وأبنيةٍ

مضمونُها الإدّعاءُ الفجُّ والفَنَدُ

فـصحـةُ العـقْل بالألفـاظِ صادقـةٌ
وسقْمُهُ حيْنَ صِـدْقُ الحرْفِ يُفْتَقَدُ
ويرخصُ المرْءُ إنْ تَرْخُصْ مـقالتـهُ
ويغـتني بغنى مـا راحَ يَعْـتـقِـدُ
أُعـانِدُ النفسَ حتَى تستفيقَ على
إرادتي وعـلى مـا ابتـغي تَرِدُ
وأكـتبُ الشـعْرَ لا أدْري أمُلْـهَمـةٌ
أبيـاتُهُ برؤى المجـهـولِ تَـتّـحـدُ
أم أنّهُ فـيضُ نفسٍ راحَ يقـلقُـهـا
ويسـتـثيرُ بهـا الأشواقَ مـا تَجِـدُ
ما كـانَ مني اختـياراً صَـوْغُ قافـية
لكنّمَـا كلُّ حَـرْفٍ في دَمـي يَقِـدُ
وأهْزلُ الشعْرِ شعـرٌ رحْتَ تقصدهُ
وأحْـسَنُ الشعْـرِ شعْـرٌ وحْدَهُ يَفِـدُ

يا قاصداً كونَ أحلامي التي انتحرت

في زهْوها حَيْثُ جُنْدُ الجذْبِ تحتشدُ

انظرْ حـواليْكَ، نامَتْ هاهنا مُـدُنٌ

منهـوكـةٌ هدَّها الإعـياءُ والسَـهَـدُ

تهالـكَتْ في رؤى الأفيـون تاركةً

وراءها ألْفَ جُـــرْحٍ يزدريه دَدُ(1)

وَهدّمتْ كُـلَّ سَـــدٍّ غَـيْـــرَ آبهـةٍ

إذ يستوِي اللبُّ في المقياسِ والزبَدُ

عـجـيبـةٌ تلكُمُ الأرواحُ يُـفزعـهـا

أنْ تبصرَ النورَ فوقَ الأرضِ ينْعَقِدُ

تشرّبتْ عِلَلَ الـعصْرِ الجـديدِ ففي

أعـماقِـها لوحـوشِ الموتِ مُـتَّسَـدُ

(1) الدد: اللهو واللعب.

تخفّفتْ عن مثاليّاتِ عالمها

إذْ عندها كُلّ أخلاقيّةٍ صَفَدُ

وابحَرتْ في مسارِ الوَهْمِ فهْيَ كَمَنْ

يجري وراء سَرابٍ وَهْوَ يبتعدُ

تُنبي ملامحها عَنْ حَشْدِ أضرحة

فيها كنوزُ بني الإنسانِ تُعْتَبَدُ

وكُلُّ سَعْيٍ وهمٍّ في شوارعِها

يُنْبيكَ كيفَ خُطى الإنسانِ تُزدَرَدُ

للناسِ أنْشُدُ طبْعُ النفسِ يأمرني

لا ضَيْرَ إنْ قَبِلوا شعْري وإنْ جحدوا

إني فُطرْت كما شاءَ الإلهُ فمٌ

عَفٌّ وقلبٌ رضى الوجدانِ يَعْتَمِدُ

لستُ الفتى يترضّى كُلَّ نازلة

ولستُ ممَنْ تُغَطّي نَفْسَهُ العُقَدُ

لي فـي الحـيــــاةِ سلوكٌ لا أبـدّلَهُ

-على الزمانِ- ارتضـاهُ أمْ أباهُ غدُ

ومبـدأي أحْملُ التـجديد مقـتفـيًا

خطى التطـور مـشـغـوفًـا بما يَعِـدُ

لكنّ بـي جَنَفـاً مِنْ أنْ أقــرَّ على

تصـورٍ زائـفٍ قـد مَـجّـهُ الرَّشـدُ

يسـتخـدمُ الناسَ أغـراضًـا لغايتـهِ

ويفهمُ العيشَ إذْعـانًا لِمَنْ صَعَدوا

* * *

مـعــذّبٌ أنتَ يا قلبـي تمرُّ بكَ الـ

ـذكرى فتضحكُ أو تبكي وترتعدُ

أنتَ الذي تـتــقــرّى كلَّ وافــدةٍ

فـتسـتجيبُ وتسـتـثني وَتنتـقـدُ

لِلـهِ دَرُّكَ كم حـــالٍ تمـرُّ بهـــا
طورًا تنوحُ وطورًا - صـادحٌ غَـرِدُ
لو فتّشـوا فـيكَ لاقـوا أيَّ متـسعٍ
تزاحَـمَتْ في مـداهُ البِيـدُ والنُجُـدُ
كـــذاكَ كلُّ فـــؤادٍ شـــاعــرٍ أفُقٌ
لا يُسْـتـــشفُّ لهُ حـــدٌّ ولا أمَــدُ
إن لمْ يُنِرْ سُـــبلاً علمٌ ومـعــرفـةٌ
فـالشـــعْـرُ ألفَ طريقٍ مُـــزْهِرٍ يَلِدُ
لِي بينَ صـحبي أناشـيـدٌ مُضـيّعـةٌ
أنشدتها غيرَ أن الصحْبَ قَد هجدوا
أيْقظتـــهمْ فـأروني وجْـــهَ مُنْزعجٍ
عـاتبـتــهم فـإذا مـردوديَ الكَمَـدُ
تُمْـسي المصـائبُ عندي وهْي هيّنةٌ
ألاَّ المعـاناةُ في إشـعارِ مَنْ هَمَـدوا

حَملْتُ من تَبِعَاتِ الدهْرِ أفْتكَهـا
فسِرْتِ والعِرْقُ تلْوَ العِـرْقِ يُفْتَصَدُ
لمْ أرتَهِبْ وصروف الدهْرِ في طلبي
فـرحـتُ والدهر كـالأنداد نجْـتَلِدُ
أريْتـهُ كُلَّ مـا بي مِنْ مـعـانَدةٍ
حـتى تيـقَّنَ إنّـي الفـارسُ النَّجَـدُ
وأنـني لا أُجـاري من مَطالبِـه
شيئًا وإنْ جُـذَّ منّي الكفُّ والعضَدُ

* * *

وصـاحبٍ غـرّه أنَّ الحـيـاةَ مَـشَت
إليهِ خـضراءَ لا جـهْدٌ ولا كَـبَدُ[1]
وإنّهُ في ظِـلالٍ مِنْ بواسِـقِـهـا
مُـرَفّـهٌ وليـاليـهِ هي الشـهَـدُ

---

(١) الكبد: المعاناة والمشقة.

تصوّرَ العـيْشَ إنْ يُقْبِلْ يُمتْ قِيَـمًا

لذاكَ عَـفّى علـى أخـلاقِـهِ الرَّغَـدُ

فصـارَ مسـتنكرًا ما كـانَ مُرْتَضـيًا

فاستُبْدلَ الرأيُ لـــمَّا استُبْدِلَتْ بُرُدُ

وراحَ يَمضغُ أطرافَ الحديث كَمَنْ

يُؤتـى الطعـــامُ وفي أسنـانِهِ دَرَدُ

يسـتلفتُ العـيْنَ إذْ يَمشي كـأنَّ بِهِ

مَـيْلاً وبالخطْوِ أنّى سـار يَقْتَـصِـدُ

صنْعَ الطواويـسِ مـزهّواً بِمشـيَـتِـهِ

فـهـو العظيمُ بعـالي المجـدِ منفـردُ

يا صاحبي لو حويْتَ المجْدَ أجْمَعهُ

وصـرْت تملكُ ما تهـوى وتعـتبِـدُ

فلستَ تَقْوى على إسكاتِ عاطفةٍ

جـذورُها في طوايا الـنفسِ تتّـقـدُ

وإن أصابكَ مكروهٌ فأنتَ إلى ا

لأخوان تَهْرعُ، ترجو لوَ تُمَدُّ يَدُ

حقيقةٌ فيكَ فاحذرْ أنْ تغالطها

ما مسّكَ الخيْرُ أو ما مَسَّكَ النّكَدُ

وذاكَ إنّكَ إنسانٌ وإن بَعُدتْ

بِكَ الخطى فعلى الإنسانِ تَعْتَمِدُ

* * *

حملْتُ مُنذُ سنينٍ قَدْ خَلتْ ظمأي

وظلْتُ[1] أسعى ولما يأتِني مَدَدُ

غير ابتلالٍ بهِ خفّفت عَنْ شَفَةٍ

ضاقَتْ بحملِ جَفافٍ راحَ يَطّرِدُ

والعمرُ ما العمْرُ إلاّ لحظة سَنحَتْ

تَميسُ جذلانةً تيهًا بمَنْ سعدوا

---

(١) ظلت: ظللت.

إنّي أُريـدُ من الأيّـامِ قـــاطبـــةً

بعــضًـا تجيشُ بمـا أهوى وتحتـشـدُ

كَمْ يكبرُ القشُّ في أنظارِ من طمعوا

ويرخصُ الدرُّ في مقياسِ مَنْ زَهَدوا

إنّـي ولدتُ وبِـيْ زُهْـدٌ يجـنّـبنـي

حُبَّ السـفاسفِ إذْ تطغى فـأبْتَعِـدُ

حسـبي نقاءُ أحاسيسٍ أسـيرُ على

ضيائِها حَـيْثُ أَطْباقُ الدجى نُضُدُ

حـييتُ لصْقَ ضـمـيرٍ لا يفـارقني

كـــالظلِّ بالمرءِ أنّى ســارَ يتّحـــدُ

* * *

يا واهبَ الشــعْرِ أغلى ما يُـجادُ بِهِ

نَفْـسًـا بشـعلتـهِ الحـمـراء تُفْـتـأدُ

هوّنْ عليكَ ولا تنصتْ لجعْجعةٍ

وإنْ رَبَا حَولها من ناصرٍ عَدَدُ

لا يستوي باعثٌ روحًا وقاتلها

وذو سخاءٍ وذاو نَبْعُهُ صَرَدُ[1]

شتّانَ بينَ غزيرِ الموجِ مُصطخبٍ

وبينَ من يقصدُ الصحراء يَرْتفدُ[2]

إنَّ الذينَ أفاضوا مِنْ قلوبهمُ

كيما تشعّ قوافٍ في الذرى شُرُدُ[3]

لا يمنعنّهمُ عن قولِ قافيةٍ

صمْتُ الجلاميدِ أو إنكارُ مَنْ جحدوا

(١) صرد: قليل الماء.

(٢) يرتفد: يطلب الرفادة، وهي العطاء.

(٣) شرد: سائرة في البلاد..

هُمْ وعـاء القـوافي وهْي روحـهـمُ
فـمـا تمـلْملَ مِنْهمْ لحظةً كَـتَـدُ[1]

تحرّقَتْ منهم الأعـصابُ فـانطلقوا
مثل الدراويش لُـصّاقًا بما قـصدوا

ضــربٌ من الخلْقِ لاَ يَـهْـدا لهُ ثَبَجٌ
وإن تراخَتْ عصـوفٌ طَبْعها حَرِدُ

كــأنَّ عـنـدَهـمُ ثأرًا لأنـفــســـهم
فهي الخصيمُ الذي لم يجفُهُ لَدَدٌ[2]

* * *

(١) الكتد: مجمع الكتفين عند الإنسان.

(٢) اللدد: شدة العداوة والخصام.

مقاطع من المسرحية الشهيرة (فاوست)

لشاعر ألمانيا غوته. ترجمها الشاعر من الألمانية إلى العربية شعراً مقفّى

ها أنت تـقـتــربينَ منّي يـا هيـاكلُ فـي اخـتــيـالْ

تتــأرجــحينَ أمــامَ عــيْـني من جــديدٍ كـالـظلال

هلْ لي بـأن أصطادكُنَّ فـيـســتـجـدّ ليَ الوصــالْ

هل مــا أزالُ أحـسُّ قلبي مــولعًــا يهــوى الخــيــالْ

ها أنـتِ ذي تتـــدافــعينَ بـلا فـــتــورٍ أو مَــلالْ

لِيكُــنْ إذاً ؟ ولتــحكمي مــا شــئتِ قــد نفــذَ المقــالْ

وكـمـا ارتفـعتِ من الغـبــارِ أقـرُّ حكمْكِ في امـتـثـالْ

* * *

ويحسُّ صَدْرى بالشبا
بِ إذا دنا لكِ موْكبُ
أنفاسُهُ سحريَّةٌ
من حولهِ تتصبَّبُ
فيهِ من الماضي رؤىً
في مُهجتي تتسرَّبُ
وصدى لأحبابٍ بأعـ
ـماقِ الثرى قد غيَّبوا
وأحسُّ بالودِّ الجميـ
ـل وبالهوى يتوثَّبُ
أسطورةً رغم التقا
دمِ والبلى لا تغربُ
فيعودُ لي الألمُ المـ
ـمضُّ كجمرةٍ تتلهَّبُ

وتهـــيجُ بي شـكوى حـــيـــا

ةٍ ضلَّ فـــيـــهـــا المركبُ

مُـــتـــذكّـــرًا خَـــبَـــرَ الألى

خَطَفَ الـفـراقُ فـخـيّـبـوا

في مـــســـتـــهـــلِّ ســعـــادةٍ

لَمْ يـصْفُ منهـــا المَشْـــربُ

* * *

تلكَ الـنفـوسُ المصـــغـيـــا

تُ بلهـــفـــةٍ لجـــمـيـلِ لحْني

لَـنْ تـســـــــتطيـعَ الآن أنْ

تُـصـــغـي لـلحـنٍ إذْ أغنّـي

الأصـــدقـــاءُ تشـــتـــتـــوا

وخـــبـــا صـــدى وترٍ مـــرنِّ

شكـوايَ أطلقــهـــا لجـــمـ
ـهــــورٍ غـــريـبٍ ليسَ مـنّي

إطراؤهُ لا يـســـتـــثـــنـيـ
ـرُ سـوى مـعـاناتي وحــزْني

أمّـــا الذي مــــا زالَ يسـ
ـكرُ من نـشـيـدي غــابّ عني

أمــسى شـــريدًا فـي المســا
لـكِ دونما مـــــأوى ووكُـنِ

ويـفـــيضُ ثـدْيٌ من حـنيـ
ـنٍ في شــفــاهـي من جَــديدْ

من بـعــد مــا كُـتـبَ الفـطا
مُ عليَّ من زمـنٍ بعــــيــدْ

وتــطـــلُّ أرواحٌ - رحـــلـــ
ـنَ - تَحـــوطُني مـثل الـوليـدْ

بحنانِهــــا فــــيشـــدني

شـــوقٌ للقـــيـــاها شـــديدْ

وأودُّ لـو أنّـي قــــــــــدر

تُ سـويعـةً أنْ أسـتـعـيـدْ

بسكونِـهــــا الجــــديّ وجـ

ـهَ العـالمِ الصـافي السـعـيـدْ

ويصـــيـــرُ أغـنيــــةً تدوّى

في الفــضــا همسُ النـشـيـدْ

والدمـعُ تلْـوَ الدمعِ يـجــــري

مــــثـلمــــا ذابَ الجليــــدْ

وتـرقُّ في قـلـبـي المشـــــــا

عــرُ وهو أقـســى من حـديدْ

مـــا فــي يديَّ أحــــســُّــــهُ

قــد غــــابَ في أُفقٍ بعـــيـــدْ

أمّـــا الـذي في الغـــيْبِ فَــــهْـ

ـوَ وقـــائعٌ وأنا الشـــهـيـــدْ[1]

* * *

(١) الشهيد: بمعنى الشاهد هنا.

افتتاح على المسرح

المدير - شاعر المسرح - شخص مرح

المدير:

أنتــــمــــا يا خــــلاصـــة الخـــلاّنِ

يا مـــعينـيَّ في صروفِ الزمـــانِ

خـــبّـــراني مـــاذا عـــسى تـنويانِ

يا صـــديـقيَّ في حـــمـى الألمانِ

كم تمـنّيتُ أن أمـــتّـعَ ذا الجـــمـ

ـهـــورَ بالفـنِّ ســاحـــرِ الألوانِ

إنَّهُ يـنشـــدُ الحـــيـــاةَ ويعطي

لســـواه حقَّ البـــقـــاءِ المصـــانِ

قــد أقــامــوا في كلِّ ركن عــمــودًا

وأعـــــدّوا الألــواحَ في إتــقــــانِ

كلُّ فــرد من الحضــور كمــا في الــ

ـعــيــدِ يصبــو لــلحظةِ الإفــتــتــانِ

ها هــمُ في مــــــســــــرةٍ وهــنــاءٍ

يرفــعــونَ الأبصـــارَ في هيـــمــانِ

وأنا الجـــــاذبُ النفـــــوسَ بفــنّي

أقفُ الآنَ جــــــائرَ الــوجـــــدانِ

إنَّ هذا الجــمــهورَ لمْ يشــهــدِ الأفــ

ـضلَ فــي الفنِّ من بــعـــيــدٍ ودانِ

بيْــــدَ أنّــي أراه ذا شَـــغَف قــــد

جــــدَّ في الإطّلاعِ والــعــرفـــانِ

خــبّــرانــي مــاذا سنعــملُ كــيــمــا

كلُّ شيءٍ يغـــدو جــديدَ الكيـــانِ

طازجًا يبعثُ السرورَ مشعّاً
بتعابيرهِ جليَّ المعاني

* * *

ويطيبُ لي أنْ أبصرَ الجمهورَ منـ
ـدفعًا كمثلِ السيلِ نحوَ المسرحِ
وبمثلِ آلامِ المخاضِ يشقُّ درْ
بًا نحوَ بابِ الرحمةِ المستَوْضحِ

* * *

عنْدَ انتصافِ الشمسِ أوْ مِنْ قبلِ أنْ
يجتازَ مجرى الوقْتِ حدَّ الرابعةْ
وأمامَ شبَّاكِ التذاكرِ ينبري
متصارعًا أمواجهُ متدافعةْ

* * *

وكما تزاحمُ[1] عنْدَ خبَّاز زمـ
ـانَ القحْطِ أفواجُ الجياع المُتعبةْ

(١) في الأصل تتزاحم وقد حذفت تاء للتخفيف.

ينهالكُ الجمـهورُ كيْ يحظى بتـذْ

كــرةٍ وهذا كـلُّ مــا في مَطـلبــهْ

* * *

هذهِ مــعـــجــزةٌ يا صـــاحـــبي

وهْيَ لا تحـــصلُ إلاَّ عنْدَ شــاعـرْ

فــــهـلمَّ الآنَ كيْ نـصْنَعـــهـــا

منْ سوى شخْصُكَ في الناسِ يُبادرْ

الشاعر:

لا تحــدّثني عن الجــمـــهــور ذا

إنَّ روحــي إنْ رأتْهُ تَـهْـــــربِ[1]

إنَّ هذا المـوجَ يقــــتـــــادُ إلَـى

سَورةٍ مَحْــمـومةٍ فَلْيُــحْجَبِ

لا.. بلِ اقـتدني إلـى درب السمـا

في مــضـيـقٍ هادئٍ لم يصْــخبِ

---

(١) تهرب جواب الشرط مجزوم بالسكون وقد كسر للضرورة الشعرية.

حـــيثُ للشـــاعـــرِ يـــزهو مـــورقًـــا

فـــرحٌ صـــافٍ نقيُّ المشـــربِ

حـــيثُ يرفـــو الحـــبُّ والودُّ مـــعًـــا

بركـــاتِ القلْبِ فيـــمـــا يجْتـــبي

* * *

آهِ .. مـــا يصْـــدرُ عنْ أعـــمـــاقنا

والذي يعلـــو الشـــفـــاه الراجـــفـــةْ

خـــجـــلاً من فـــشل حـــينًا ومنْ

ظفَـــرٍ حـــينًا يَشُـــدُّ العـــاطفـــةْ

كـــلُّ هذا فَـــجـــأةً تـــأكلـــهُ

لحظةٌ وحـــشـــيَّـــةٌ كـــالعـــاصـــفـــةْ

* * *

وإذا مـــا نـــفـــذت ملقـــيـــةً

بصـــداها فـــي مطـــاويهِ السـنونُ

لاحَ في الغـــالـــبِ شكـــلاً كـــامـــلاً

هكـــذا في مـــوكب الدهرِ يـــكونُ

مــا تراهُ لامــعاً يـحـيـا سـوى

لحـظـاتٍ ثـمَّ يـطويـهِ الـسـكـونُ

والذي كـانَ صحـيـحًا في حـمى

مُـقْـبلِ الأجـيـال حيٌّ ومـصـونُ

الشخص المرح:

يا ليتَ أُذنيَ لم تسْمَع بما سـمَعَتْ

ولمْ يَعُـدْ مُقْـبلُ الأجـيال يَـعْنيهـا

وَلْيفْتَرضْ؟ إنّني حَدّثْتُ عن حِقبٍ

لَمْ تأتِ بَعْدُ وصـوّرتُ الذي فيـها

فَــمَنْ لـعـالِـمنا هـذا يناوِلهُ

كَـأسَ الدعـابةِ إمـتـاعاً وترفـيـهـا

وَهْو الذي يبـتغـيهـا وهْو مُعْـتقـدٌ

بأنَّـهُ دونما شكٍّ مـواتـيـهـا

بغـــداد

الحبَ يكبرُ فينا حينَ نفترقُ

وارشو ٢٦ حزيران ١٩٨٦

بغـداد مُـدّي شـــراعًـا إنّني غَـرِقُ
هواكِ بحـرٌ بعـاتي المـوجِ يصطفقُ
لا ما نسـيتُكِ مهـما طالَ بي سَـفَرٌ
الحبُّ يكـبُـرُ فـينا حينَ نـفـتــرقُ
إنّي أنا ذلـكَ الهـيـمـانُ يـطربه
بيتٌ إذا مـا تغنّى الشـاعـرُ الحـذِقُ
وزّعتُ نفـسيَ فـي بيتٍ وقـافـيـة
فـراحً يأكلُ من أعــصـابيَ الوَرَقُ
في الليلِ حينَ عيونُ الناسِ مغمضةٌ
تظلُّ عـينايَ يشـدو فيـهمـا الأرقُ

أغيبُ والشطّ في نجوى تسامرها

نجوى النخيلِ على الجرفينِ يتّسقُ

أظلُّ تحتَ النجيماتِ التي ملأتْ

سماكِ بالزهْوِ كالقدّيسِ أحترقُ

عمري هوىً ومن النيرانِ مركبتي

يطلُّ منها إلى عُمْقِ السما عُنُقُ

* * *

لا تعتبي يا ابنة النهرينِ إن بَعُدت

بيَ المسافاتُ أو أدمى الخُطى رَهَقُ

فالحرُّ يرحلُ مثْل الطيرِ مغتربًا

عن البلادِ إذا ضاقتْ بهِ الطُرقُ

ولدتُ حُراً وحسبي أنَّ لي أُفُقَا

في الروحِ يوسعُ إذْ لا يوسعُ الأفُقُ

وجّهتُ للنورِ وجهي واستعذتُ بهِ
من الظلام وممّا راحَ يختلقُ
وقلْتُ لا ضيْرَ يا شمْسَ السماءِ إذا
ما غبْتِ فالضوءُ في الأعماقِ يأتلقُ
وصحْتُ بالشرِّ إذ هبَّتْ عواصفهُ
الحقُّ والخيرُ لي ما عشتُ مُنْطَلَقُ

* * *

بغدادُ لا غرْوَ أن أمسى الهوى شجنًا
دأبُ المحبّينَ أن يشقوا بما عشقوا
ذوّبتُ فيكِ شراييني التي رفضَتْ
أن تؤثرَ الثلجَ والنيرانُ تستبقُ
لأنَّها النفسُ إنْ لمْ تحترقْ صَدأَتْ
وأنَّهُ القلْبُ يحيا حيْنَ يحترقُ

الحبُّ في القلْـبِ يا بغـدادُ مـوطنهُ

لا في الدعاوى التي تُرْوى وتعتنقُ

الحبُّ مـا كانَ كـسبًا أو مُـتاجـرةً

لا يستوي في القياسِ الحبُّ والنزقُ

كمْ تُسْـتثارُ بيَ الأحـزانُ حينَ أرى

تلكَ السـماواتُ لمْ يبسمْ لـها أُفقُ

يلفُّـهـا الصمتُ لا تشـدو بلابلهـا

وينهقُ الحـقـدُ والأنـفـاسُ تخـتنقُ

لا تيـأسي يا ابنة الـنهـريـن، زائلةٌ

دنيا الطواغيتِ والعقبى لمن صدقوا

غـدًا تعودُ إلى الأطفـالِ بسْـمتـهـم

غـــدًا يعــودُ إلى أزهـاركِ العَــبَقُ

* * *

رماد الأفق

أفقٌ رمــــاديٌّ الرؤى كـــالـطينِ
أنفـــاسُــهُ حــجــرّيةُ التـكوينِ
لوّنتُـــهُ بخـــواطري فـــوجــدْتُهُ
مــستـعـصيًا حتى عـلى التلوينِ
كـــاشفْــتُــهُ ســـرَّ الجـــراحِ بنظرةٍ
فـــأجّــابنـي بتـــشــاؤبِ التـنّينِ
فوجـدتني والصمْتُ يذبحُ لـوعتي
كـالـطيـرِ يأمـلُ رحْـمَــةَ السكينِ
وحـدي أجـرُّ خطايَ دونَ مـؤونةٍ
مـتـــحـّديًا قَــدَري برُمْحِ يقــيني
كـــمـــؤذنٍ في الريحِ يـنْدُبُ رايةً
من أمـسِ قَـــدْ تُـرِكتْ بلا تـأبين

سـاءلتُ نفسي أيَّ ذنبٍ قـد جَنَتْ

حـتّى تكونَ الـموحـشـاتُ عـريني

ولِـمَ استباحَ الليلُ شَمْسَ مقاصدي

وامـتـدَّ عُثُّ الموجِ نَـحْـوَ سـفـيني

هذا أنا فَـــرَسي الرياحُ وبـيــرقي

وَهْمٌ يرفــرفُ في سـمــاءِ جنوني

لـلحـــــزن آيـاتٌ عظـام نزّلـت

رتّلْتُـهـا في صـومـعـاتِ سكوني

لكـنَّ وجْـــهَـكَ فـــاتني لما بدا

خلْفَ المدى ولّى ظـلامُ شـجـوني

قـبّلتُـــهُ صـبـحًا فـريدًا مـا رأَتْ

أنوارَهُ الأبـصـــارُ منـذُ قـــرونِ

في مـقلتـيكَ قـرأتُ سِـرَّ حكايتي

وعـرفـتُ أَصْلَ مـسـرّتـي وأنيني

وعلى شِفاهِكَ بسمةٌ سحريّةٌ

سَبَقتْ عصورَ الخَلْقِ والتكوينِ

ما أَنْتَ إلاّ نَفْحةٌ قُدُسيّةٌ

وشرارةٌ في هيكلٍ من طينِ

لما رأيتُكَ في دروبٍ حُوصِرَتْ

بالثلجِ والظلماءِ مثْلَ سجينِ

غنّى الربيعُ نشيدَهُ في خافقي

واخضرَّ عودٌ في عجافِ سنيني

رَقَصتْ على خضْرِ الضفافِ وريْدةٌ

وأنارَتِ البسماتُ وجْهَ حزينِ

ومراكبٌ عادت إليها بَعْدما

هجَعَتْ خيالاتُ الهوى المجنونِ

نشرتْ صواريها لتحتضنَ المدى

والريحَ تجري لا على التعيينِ

مَرَقتْ كرعدٍ في السكونِ وأشْعَلتْ

ناراً علـى مــذرى رمـــادِ حنيـني

هذي هي الأقـداحُ قد فَـرغتْ ولَمْ

تبلُـغْ سـواحلَ مـن بحـارِ ظـنوني

ألوى بهـا الإعـياءُ يلـعنُ بعْضُـهـا

بعـضًا تُحـدّقُ في سـمـاءِ عيـوني

مـسـحـورةً وهِيَ الـتي عُـرِفَتْ بما

فــيـهــا من الإغــراءِ والتـطمينِ

* * *

شريد في مدن الثلج

روما تشرين الثاني ١٩٩٧

مــدنٌ نزلت بهــا بلا مــيقــات

وخـتمتُ فـيهـا مرغـمًا رحـلاتي

حيّـيـتـهـا مـتـبـسـمًـا لـكنهـا

صلبتْ على أبوابهـا بسـمـاتي

ونظرتُ حـولي علّـني ألقى الذي

يحـنو عـلـيّ مـــداويًا طـعنـاتي

فــإذا الوجـوهُ تصــدّني نظراتهــا

فـأحـيـدُ عنهـا خـافـضًـا نظراتي

مـدنٌ أحسُّ الصمتَ في أحـيائهـا

كــفّــاً تردُّ عليّ بالـصـفـعـاتِ

وفـمـاً يردد باحـتـقـارٍ أنني

وهمٌ ومحْضُ خرافةٍ صرخاتي

قَدْ أنكَرتْ روحي معابدُها فما

أَجْدَتْ تسابيحي ولا صلواتي

* * *

تلكم بلادي أَصبحتْ، لا وجْهُها

وجهي ولا ضحكاتها ضحكاتي

أَكَلَتْ غضارتَها الحروبُ بنارها

وأنا التشرّدُ هدَّ نصْفَ حياتي

في البحر قد غرقتْ جميعُ سفائني

لم تَبْقَ غيْرُ سفينةٍ هي ذاتي

وسراجُ آمالي تلاشى ضوؤهُ

فدفنْتُهُ في الثلْجِ من سنواتِ

أمشي فيمشي الحزنُ خلفي راصداً

مُــتــعــقــبــاً لا ينثني خــطواتي

فــمــدامــةٌ تدعــو نديمًا غــائبــاً

وقــصــيــدةٌ تُـتْلى على أمــواتِ

والذكرياتُ معَ الصحابِ قد اختفتْ

مثْلَ اختـفـاءِ البرْقِ في الظُلُـماتِ

لمْ يَبْـقَ منهــا بعْــدَ طولِ تشــرّدٍ

إلا رمــادٌ خــامــدُ الجَــمَــراتِ

* * *

بيتـي هو المنفى ومـا مـلَكَتْ يدي

شِــعْــرٌ أسطّرهُ على الـوَرقــاتِ

لم يصـلبــوني كــالمســيحِ وإنّمَا

جـعلوا صليـبًا لي ضـيـاعَ حيـاتي

أيّوبُ لـو يدري بـحـالـي هذهِ

لبكـى عليَّ بسـاخنِ العـبـراتِ

فـأنا الغـريبُ أَمـرُّ مـثْلَ سـحـابةٍ

مـتـقيـئًـا عُـمُـري على الطرقـاتِ

آهٍ بلادي كنـتِ أجْـمَلَ صِـورةٍ

فَلِمَ الشحوبُ يلوحُ في القـسماتِ

لا تنســبي البلوى إلـى أقـدارنا

فـالعـيْبُ عَـيْبُ الوجْـهِ لا المرآةِ

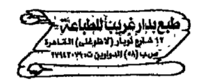
* * *

الشاعر في سطور

- ولد جميل حسين الساعدي عام ١٩٥٢ في بغداد.
- حصل عام ١٩٧٣ على دبلوم فني في الإدارة من جامعة بغداد.
- صدرت مجموعته الشعرية الأولى **(اللواهب)** عام ١٩٧٥ عن دار الحوادث للنشر – بغداد.
- نشر مجموعته الشعرية الثانية **(رسائل من وراء الحدود)** عام ١٩٨٠ عن دار المعارف للنشر - بيروت.
- حصل عام ١٩٨٨ على شهادة الماجستير في الأدب الألماني من الجامعة الحرة - برلين. وفي نفس العام شرع بكتابة روايته: **(تركة لاعب الزجاجية)**، التي انتهى من كتابتها عام ١٩٨٠ والتي صدرت فيما بعد في كلٍّ من ألمانيا ومصر.
- ألقى المؤلف في ٢١-١١-١٩٩٥ محاضرة عن روايته **(تركة لاعب الكريات الزجاجية)** في دار ثقافات العالم في برلين: (Haus der Kulturen der Welt) تلبية للدعوة التي وجهتها له الدار، أعقبها لقاء إذاعي أجرته معه محطة الإذاعة الألمانية: (Deutsche Welle).
- صدرت مجموعته الشعرية الثالثة عام ٢٠٠٥ تحت عنوان **(أناشيد زورق)** عن دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.
- صدرت مجموعته الشعرية الرابعة عام ٢٠٠٦ تحت عنوان **(طقوس)** عن نفس دار النشر.
- ترجم العديد من قصائده إلى اللغات الأجنبية، كما صدرت له مقالات وقصائد في مجلات وصحف ألمانية.
- ترجم من كتاب نهج البلاغة عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر إلى اللغة الألمانية وقد صدر عن دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع عام ٢٠١١ تحت عنوان **(العدالة)**.

فهرس الموضوعات







هذه القصائد تمثل المراحل الأولى من حياة المهجر ، التى بدأها الشاعر فى نهاية السبعينات من القرن الماضِي ، والتي ظلّت مخبوءة بين أكداس الورق وفِي ثنايا الكتب ، حتى قيّضَ لها أن تقع عن طريق الصدفة فِي يد الشاعر بعدَ أن أوشك أن يسدل النسيان عليها ستاره. وها هى ترى النور من جديد وتأخذ طريقها إلى الطبع.

وهي فى جملتها تنم عن حسّ شعرىً عميق ومخيلة خصبة ، تمتاز بغزارة صورها النابضة بالحياة ، ورؤاها التى تشع بكل ما هو موح وملهم إضافة إلى تلك الملكة اللغوية المتميزة التى مكنت الشاعر أن يتصرف ب
قديمها وحديثها بعفوية ملحوظة وأن يعيد الحياة إلى بعض الم
أوشكت أن تختفى من القاموس الشعرى.